مقـــدمة

لقد كانت نكسة يونية ١٩٦٧ بكل قسوتها وشدتها هى الشرارة التى أثـارت لدى جمال حمدان مشاعر الألم والغضب التى اجتاحت كل المصريين، ولكنها لـم تسلمه أو توصله إلى حالة اليأس أو القنوط، بل إنها قد دفعته إلى الإسراع بإخراج كتابه "**شخصية مصر": دراسة فى عبقرية المكان**"، لتعريـف المـواطن العـادى والمثقف العام بجوهر وطنه الأصيل وعظمة شخصيته ومعدنه القـومى الصـلب، ودوره الإنسانى والحضارى.

وقد صدر هذا الكتاب عن دار الهلال فى يوليه ١٩٦٧، ضمن سلسلة "كتـب الهلال"، ولم يحاول جمال حمدان فى هذا الكتاب أن يدافع عن مصر أو يمجـدها، وإنما جاء هذا الكتاب الصغير الحجم تشريحا علميا موضـوعيا يقـرن المحاسـن بالأضداد، ويشخص نقاط القوة والضعف سواء بسواء فتلقفه المثقفون الذين كانـت الهزيمة قد حطمت معنوياتهم، فأعادت إليهم بعض الثقة التى فقدوها بعد أن تعددت الرؤية وضاعت الآمال.

ولم يكتف جمال حمدان بهذا، بل عكف على التوسع فى دراسـته وأبحاثـه، بحيث لم تمض عدة سنوات إلا وكان قد أعد طبعة جديدة صدرت عام ١٩٧٠ فـى نحو نيف وخمسمائة صفحة من القطع لكبير، فجاءت مانعة، وشملت موضـوعات ودراسات جديدة عالج فيها جميع جوانب الشخصية المصرية، سواء مـن الناحيـة الطبيعية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، فكانت هذه الطبعة هى "زبدة" ــ إذا ما صح التعبير ــ ما سيخرجه بعد ذلك فى موسوعته أو ملحمته الكبرى التـى صدرت فى أربعة أجزاء، والتى صارت صرحا فكريا شامخا وأثرا من تلك الآثار

العلمية العظيمة التى ظهرت فى عالم الفكر العربى فى القرن العشرين وقد احتوى الجزء الأول على:

مقدمة ــ فى الشخصية الإقليمية

الجزء الأول

شخصية مصر الطبيعية

الباب الأول ــ من الجيولوجيا إلى الجغرافيا

الفصل الأول ــ أرض مصر

الفصل الثانى ــ تاريخ حياة نهر

الفصل الثالث ــ تغيرات النيل التاريخية

الفصل الرابع ــ وجه مصر

الباب الثانى ــ الصحراوات

الفصل الخامس ــ الصحراء الغربية

الفصل السادس ــ أقاليم الصحراء الغربية

الفصل السابع ــ أقاليم الصحراء الغربية (تابع)

الفصل الثامن ــ الصحراء الشرقية

الفصل التاسع ــ أقاليم الصحراء الشرقية

الفصل العاشر ــ سيناء

الباب الثالث ــ وادى النيل

الفصل الحادى عشر ــ فيزيوغرافية النهر

الفصل الثانى عشر ــ مورفولوجية الوادى

الفصل الثالث عشر ــ الوادى والفيوم

الفصل الرابع عشر ــ الدلتا

واحتوى الجزء الثانى على:

شخصية مصر البشرية

الباب الرابع ــ التجانس

الفصل الخامس عشر ــ التجانس الطبيعى

الفصل السادس عشر ــ التجانس المادى

الفصل السابع عشر ــ التجانس العمرانى

الفصل الثامن عشر ــ التجانس الحضارى

الفصل التاسع عشر ــ التجانس البشرى

الباب الخامس ــ الوحدة، والحضارة، والنظام

الفصل العشرون ــ الوحدة السياسية

الفصل الحادى والعشرون ــ من السبق الحضارى إلى التخلف

الفصل الثانى والعشرون ــ من الطغيان الفرعونى إلى الثورة الاشتراكية

الباب السادس ــ شخصية مصر السياسية

الفصل الثالث والعشرون ــ من إمبراطورية إلى مستعمرة

الفصل الرابع والعشرون ــ الاستعمار الأوربى الحديث

الفصل الخامس والعشرون ــ شخصية مصر الاستراتيجية

الباب السابع ــ البناء الحضارى والأساس الطبيعى

الفصل السادس والعشرون ــ قلب العالم: موقع مصر الجغرافى

الفصل السابع والعشرون ــ هبة النيل

وناقش الجزء الثالث ما يلى:

الباب الثامن ــ شخصية مصر الاقتصادية

الفصل التاسع والعشرون ــ خريطة الاقتصاد المصرى

الفصل الثلاثون ــ الزراعة المصرية من الخريطة إلى التخطيط

الفصل الحادى والثلاثون ــ من التوسع الرأسى

الفصل الثانى والثلاثون ــ إلى التوسع الأفقى

الفصل الثالث والثلاثون ــ مصر الصناعية

الفصل الرابع والثلاثون ــ صناعات مصر: الصناعة الزراعية الأم

الفصل الخامس والثلاثون ــ صنع فى مصر: من الصناعات الكيماوية إلى المعدنية

الفصل السادس والثلاثون ــ ثروتنا المعدنية وصناعة التعدين

وتناول الجزء الرابع موضوع:

شخصية مصر الحضارية

الباب التاسع ــ خريطة المجتمع المصرى

الفصل السابع والثلاثون ــ كثافة بلا هجرة: سكان مصر

الفصل الثامن والثلاثون ــ سكان مصر: بين المشكلة والحل

الفصل التاسع والثلاثون ــ مركزية رغم الامتداد: قاهرة مصر

الباب العاشر ــ آفاق الزمان وأبعاد المكان

الفصل الأربعون ــ تعداد الأبعاد

الفصل الحادى والأربعون ــ التوسط والاعتدال

الفصل الثانى والأربعون ــ الاستمرارية والانقطاع

الباب الحادى عشر ــ مصر والعرب

الفصل الثالث والأربعون ــ بين الوطنية المصرية والقومية العربية

نبذة عن تاريخ حياة د. جمال حمدان

(١٩٢٨ - ١٣٤٩ هـ - ١٩٩٣ - ١٤١٤هـ)

ولد جمال محمود صالح حمدان فى ٤ فبراير ١٩٢٨ بقرية (ناى) إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة القليوبية (مصر) ويرجع نسب عائلته إلى قبيلة (حمدان) التى نزحت من الجزيرة العربية واستقرت بالديار المصرية بعد الفتح الإسلامى.

وكان والده مدرسا للغة العربية بمدارس القاهرة، ومن ثم أتم جمال حمدان دراسته الابتدائية بمدرسة شبرا الابتدائية، والثانوية بمدرسة التوفيقية الثانوية، وكان طالبا متفوقا منذ حداثة سنه، وعقب اجتيازه مرحلة الدراسة الثانوية توجه صوب قسم الجغرافيا بكلية الآداب ــ جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا).

وحصل جمال حمدان على درجة ليسانس الآداب بامتياز، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز العشرين سنة، فعين معيدا بهذا القسم بعد تخرجه أى فى أكتوبر ١٩٤٨، ووقع الاختيار عليه لاستكمال دراساته العليا فى الخارج، حيث التحق بجامعة ريدنج بإنجلترا، وعمل مع الأستاذ أوستين ميللر، وأنهى تحت إشرافه درجة الماجستير والدكتوراه وعاد إلى عمله بكلية الآداب جامعة القاهرة، فظل فى العمل بها حتى استقالته منها فى عام ١٩٦٣ للتفرغ للبحث والكتابة.

وقد أصدر جمال حمدان أثناء عمله كأستاذ مساعد للجغرافيا فى كليته كتبه الثلاثة الأولى: "جغرافية المدن" و"دراسات عن العالم العربى"، "وأنماط من البيئات"، وقد نال عنها جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٩.

مؤلفاته:

فى عام ١٩٦٣ أصدر كتابه "**المدينة العربية**" كشف فيه العلاقة بين التكوين الثقافى والاقتصادى العربى الأصلى (فى القرون الوسطى) وبين العلاقات الاجتماعية والسياسية والإدارية داخل بنية المجتمع العربى.-

وفى عام ١٩٦٤ أصدر كتاب "**بترول العرب**" ألقى فيه الضوء للمرة الأولى على أهمية النفط الاستراتيجية والسياسية ــ لا الاقتصادية المجردة.

وفى عام ١٩٦٦ أصدر "**إفريقيا الجديدة**".

ثم أصدر بعد نكسة ١٩٦٧ الصياغة الأولى لملحمته العلمية الضخمة ــ والتى كانت بمثابة مشروع عمره الأساسى على حد قوله ــ وهى كتاب "**شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان**" حيث تناول حتمية التوحيد والتجانس دون تسطيح ولا تحجير على مستويات الموقع وعلاقته بدوائره، والتكوين السكانى والثقافى والاجتماعى، وقد شخص فيها نقاط القوة والضعف وقرن المحاسن بالأضداد على حد سواء، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية فى مصر.

ثم قدم كتابه "**اليهود أنثروبولوجيا**"، وقد كشف فيه التشتت الثقافى والبشرى لهم، وهو الأمر الذى يحتم التعصب والعدوان كوسيلة من وسائل التوحيد المصطنع والتكتل المنافى للتطور الطبيعى للحقائق التاريخية.

وفى العام التالى أصدر كتابه التاريخى "**استراتيجية الاستعمار والتحرير**"، تحدث فيها عن جدلية العلاقة بين تطور النظم الاقتصادية والثقافية والسياسية وبين أسس قيام نظام عالمى متوازن وعادل وواقعى.

وفى عام ١٩٧٠ أصدر الصياغة الثانية لكتابه "شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان"، حيث بدأت محاوره الأربعة فى الاكتمال والنضج: المحور الجيولوجى المكانى، والمحور البشرى والمحور الاقتصادى، ثم المحور الحضارى.

وفى العام التالى ١٩٧١ أصدر كتابه البالغ الأهمية "العالم الإسلامى المعاصر، وألحقه فى عام ١٩٧٣ بكتابه التاريخى الثانى "**بين أوروبا وآسيا: نظائر جغرافية**".

وفى عام ١٩٧٤ أصدر كتابه الذى استوحاه من نصر أكتوبر ١٩٧٣ وهو "**(٦) أكتوبر والاستراتيجية العالمية**"، ألقى فيه نظرة مستقبلية صائبة على ما أصبح بداية للتغيير الجذرى فى التوازن العالمى بعد ذلك، وذلك تأسيسا على معطيات الانتصار العربى الجيوستراتيجية والحضارية والاقتصادية.

وتفرغ جمال حمدان إثر ذلك لإنجاز صياغته النهائية لكتاب "شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان" الذى استغرق عشر سنوات، وصدر فى أربعة آلاف صفحة من القطع الكبير ضمن أربعة مجلدات.

وفى عام ١٩٨٥ حصل جمال حمدان على جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية.

وفى العام التالى حصل على جائزة التقدم العلمى من الكويت.

وبلغت مؤلفاته أكثر من ٢٠ كتابا ينقسم بعضها إلى عدة مجلدات ضخمة، وكتابين باللغة الإنجليزية بالإضافة إلى أكثر من ٢٥ دراسة مطولة محكمة نشرت فى المجلدات والدوريات العلمية وعدة مجلات بريطانية وفرنسية، وعشرات من المقالات التى نشرت بالصحف المصرية والعربية، وذلك قبل وفاته المأساوية محترقا داخل شقته فى إبريل ١٩٩٣، رحم الله جمال حمدان رحمة واسعة جزاء ما قدم لمصر وأبنائها.

مؤلفات تناولت أعمال حمدان:

١ ــ صاحب شخصية مصر وملامح من عبقرية الزمان، دكتور عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢ ــ جمال حمدان فى ذمة التاريخ، الدكتور محمد الغنيمى مقلد، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣ ــ ثلاثية حمدان، دكتور عمر الفاروق، القاهرة، ١٩٩٥.

٤ ــ جمال حمدان، صفحات من أوراقه الخاصة، جمعها د. عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥ ــ جمال حمدان، عبقرية ضد الانحناء، أستاذ محمد عبد الغنى علام، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦ ــ جمال حمدان، عاشق مصر العبقرى، إعداد الأستاذ محمد نوار، القاهرة، ٢٠٠٣.

7 – Salih Hamdan: Gamal Hamdan, Collected works (1-2), Cairo 2000.

كما صدر له العديد من البحوث والمقالات فى المجلات والصحف المصرية والعربية والأجنبية.

ويسعدنى أن أعرب عن خالص شكرى وامتنانى للأخ العزيز الشاب النابه الأستاذ محمد عبد الرحمن الشاغول الذى بذل جهدا ضخما فى تجميع المقالات والبحوث والدراسات وفى مراجعة الكتاب مراجعة علمية دقيقة، ودعائى له أن يوفقه الله سبحانه وتعالى وأن يسدد خطاه.

د. عبد الحميد صالح حمدان